ذاكرة العرب

مجلة ربع سنوية - العدد الثاني - إبريل ٢٠١٩

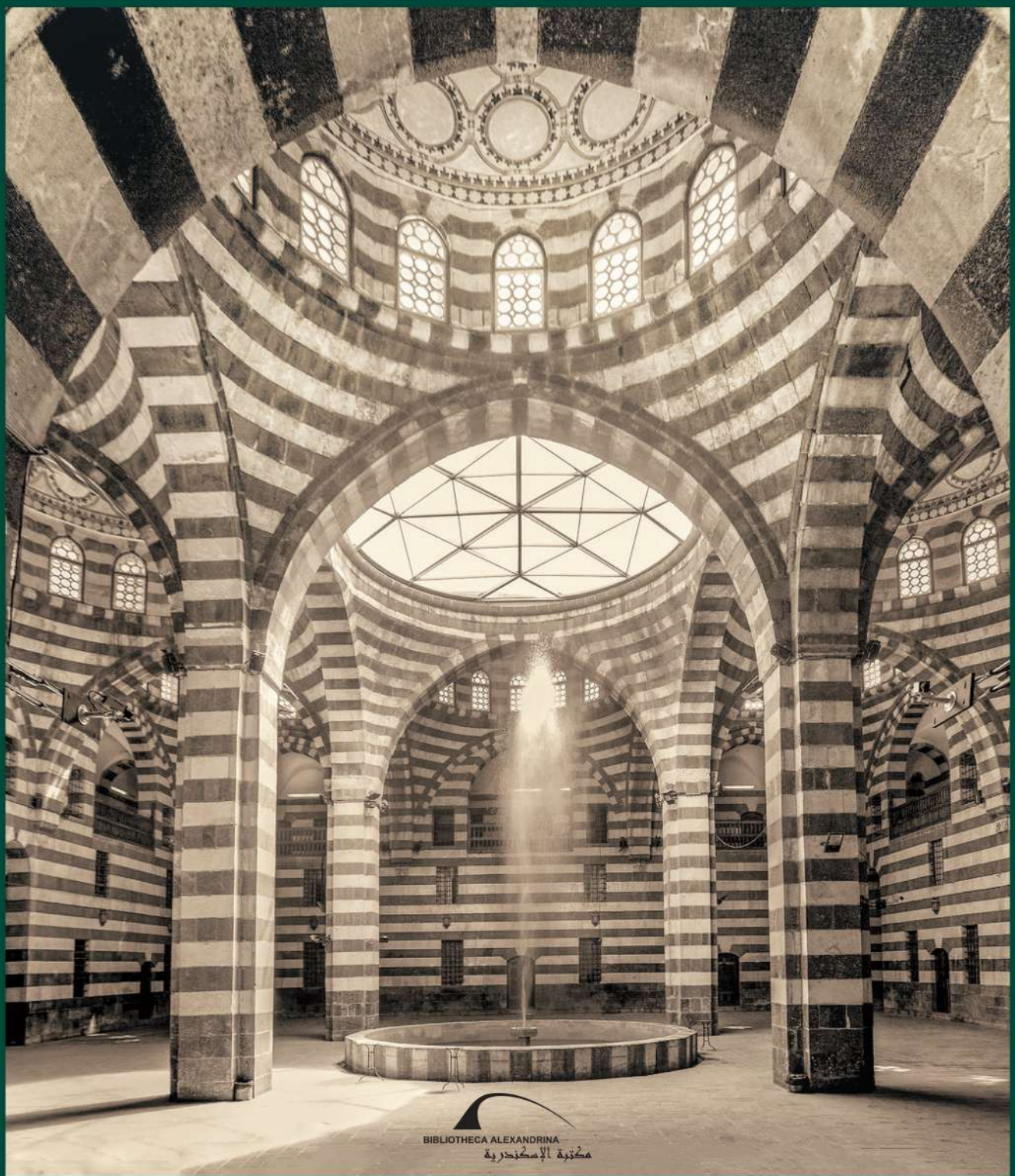

الفهرس

تقديم	٣
سجلماسة... ١٣٠٠ عام على تأسيس أول حاضرة إسلامية بالمغرب الأقصى	٤
مدينة زبيد اليمنية وتحصيناتها	١٦
البيوت الدمشقية... كنوز معمارية فنية وأسرار تاريخية	٣٠
خان أسعد باشا العظم في مدينة دمشق	٥٠
زينة الرأس للمرأة التونسية... تراث ثقافي وحضاري	٦٤
سلامات من يافا وحيفا والناصرة والقدس الشريف	٨٨
السنع وأصوله... الأقوال الشعبية المتداولة في المناسبات الاجتماعية في دول الخليج العربي	٩٨
تاريخ غزة في نهاية العصر العثماني... قراءة من خلال شواهد القبور	١١٤
ملحمة السيرة الهلالية	١٢٨
إطلالة على البن اليمني	١٣٠
قراءة لوثيقة نادرة تقنن بيع الخيل في عهد الملك عبد العزيز	١٣٤
هرابات المياه النبطية في سيناء	١٤٢
ملف خاص: ما قبل التاريخ في الوطن العربي	
- آثار ما قبل التاريخ في العالم العربي والإرهاصات الأولى للحضارة	١٥٠
- الفن الصخري الموريتاني	١٦٢
- الملامح الثقافية لما قبل التاريخ في اليمن	١٧٤
- تاسيلي... تراث عربي مجهول	١٧٨

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

SPecial Projects
إدارة المشروعات الخاصة

المشرف العام
مُصْطَفى الفِقي
مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس التحرير
خَالِد عَزَب
khaled.azab@bibalex.org

سكرتير التحرير
سُوزَان عَابِد
susan.abed@bibalex.org

المراجعة والتصحيح اللغوي
فاطِمَة نَبيه
مُحَمَّد حَسَن

التصميم الجرافيكي والخطوط
الحَسَن عِصَام
خَالِد مُصْطَفى

الإسكندرية، إبريل ٢٠١٩

طُبعت برعاية
OFID
THE OPEC FUND FOR INTERNATIONAL DEVELOPMENT
Uniting against Poverty

الفن الصخري الموريتاني

بقلم: الدكتور حمدي عباس عبد المنعم

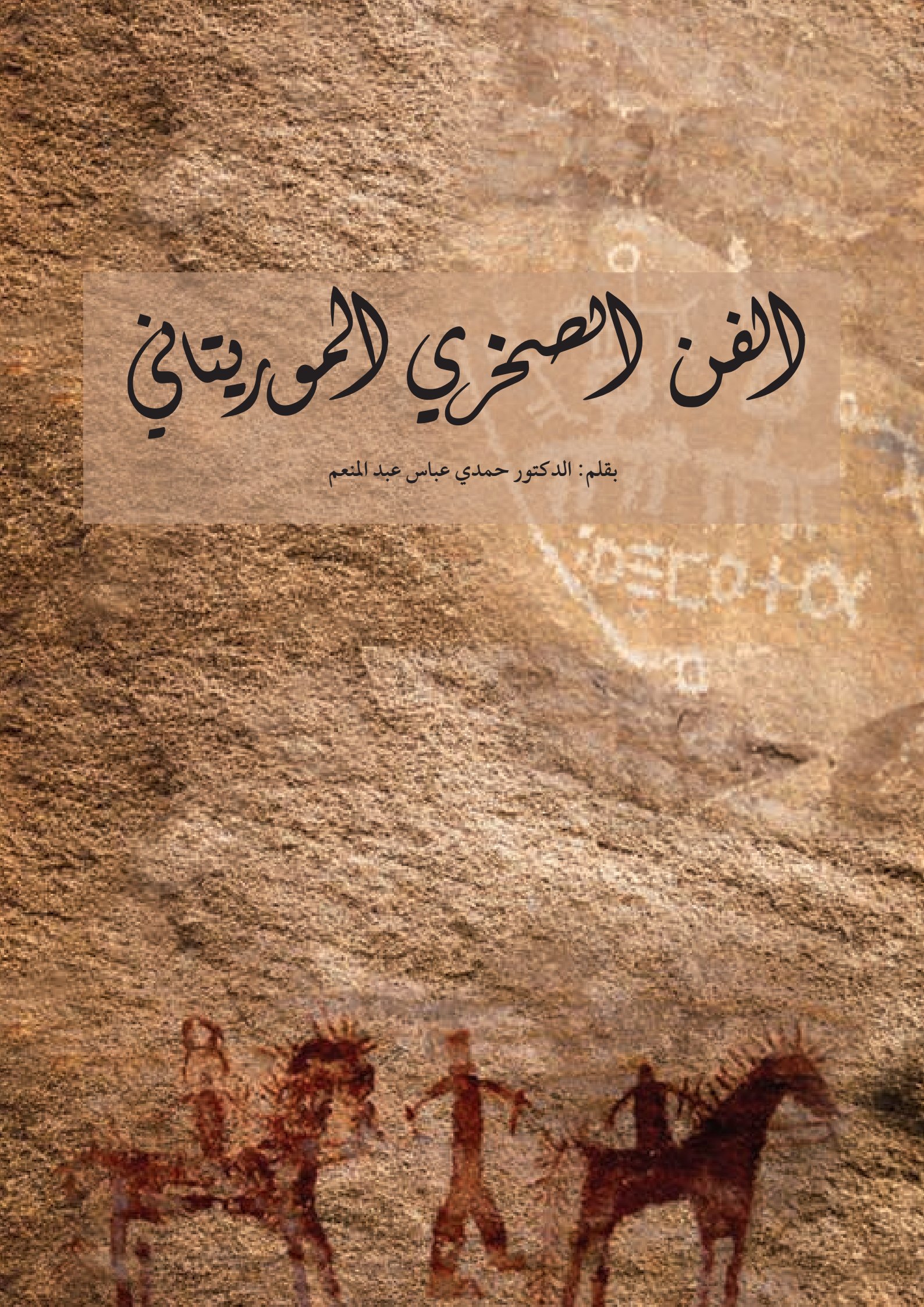

يُتعرف إلى الشعوب والحضارات والثقافات القديمة من خلال ما تركته وراءها من آثار وبقايا ومخلفات؛ تلك التي يطلق عليها الأركيولوجيون (أو علماء الآثار القديمة) اسم «النتاج الصناعي» Artifacts أو «الثقافة المادية» Material culture، التي يعتمدون عليها بجانب الوثائق المكتوبة أو السجلات المدونة، في حال تركيز اهتمامهم في الشعوب أو الحضارات أو الثقافات التي عرفت نسقًا أو نظامًا للكتابة، استطاعت من خلاله تدوين جانب كبير من حياتها، وأحداثها، وظروفها، ووقائعها، وأساليب حياتها المعيشية بمناشطها المختلفة. أما حين يركز الأركيولوجيون اهتمامهم في دراسة تلك الشعوب أو الحضارات والثقافات التي نشأت وظهرت ونمت وتطورت – بل اندثرت أيضًا – قبل بلوغ مرحلة الكتابة، فتبرز هنا، وبشكل لافت وخاص، أهمية هذه البقايا، أو المخلفات، أو النتاج الصناعي، أو الثقافة المادية. ولا مبالغة في القول هنا – وفي هذه الحالة – إن تلك البقايا تمثل المصدر الوحيد من المادة الأركيولوجية المتوافرة لتناول هذه المجتمعات ما قبل التاريخية Prehistoric societies بالدراسة، والتحليل، ورسم صورة لها ولأساليب حياتها في ماضٍ، لا يتسم أو يتمتع أو يتميز بوجود أي وثائق تاريخية أو سجلات مكتوبة أو مدونة.

هذا، وتتعدد أشكال النتاج الصناعي، أو المخلفات والبقايا أو الثقافة المادية، وتكثر صورها لدى الشعوب، أو الحضارات، أو الثقافات ما قبل التاريخية، فمنها – على سبيل المثال لا الحصر – الأدوات والآلات الحجرية، والعظمية، والخشبية؛ والمعدنية كالفئوس، والسكاكين، والخناجر، والمكاشط، والقواديم، والمعاول، والمحاريث؛ والأواني الفخارية؛ والحلي كالعقود، والأساور، والأقراط؛ ومواقع السكن كالكهوف، والمآوي، والسواتر الصخرية، ومعسكرات الإقامة، والأكواخ، والمنازل، والبيوت؛ ومواقع الدفن؛ وكل ما تركه أو استخدمه إنسان وجماعات ومجتمعات هذه الفترة السحيقة الموغلة في القدم.

غير أن هناك مصدرًا هامًّا من المواد الأركيولوجية يحتل أهمية خاصة وبالغة في معرفة جانب لا بأس به من هذه الفترة الزمنية الهامة والطويلة من تاريخ الجنس البشري؛ وهو المصدر المتمثل في تلك النقوش والرسوم التي تركتها هذه الشعوب، أو الحضارات والثقافات ما قبل التاريخية، التي سبقت في ظهورها وازدهارها – بل في أحيان كثيرة سبقت في زوالها واختفائها واندثارها – مرحلة اختراع الكتابة أو المرحلة التاريخية. هذا المصدر من المادة الأركيولوجية الذي يعرف اصطلاحًا باسم «الفن الصخري» Rock art.

والفن الصخري في أبسط تعريفاته ومعانيه يشير إلى تلك الآثار التي أحدثها الإنسان عمدًا على أسطح الصخور، سواء كانت هذه الأوجه أو الأسطح حوائط، أو جدرانًا داخل الكهوف، أو المآوي والسواتر الصخرية، أو كانت أسطح الكتل الصخرية المنتشرة في الأماكن المفتوحة. ويتم إحداث تلك الآثار

طبعات كفوف الأيدي وجدت أيضًا في الرسوم الملونة فوق جدران وحوائط المآوي والملاجئ الصخرية، جايليمزي، تاجانت، موريتانيا.

نقوش صخرية تعود إلى المرحلة البقرية بالصحراء الموريتانية الكبرى، عام ١٩٦٧م.

الاصطناعية بأساليب وتقنيات مختلفة، كاستخدام الأسلوب الطبيعي، أو شبه الطبيعي، أو الواقعي، أو التقليدي، أو النمطي، أو الهندسي، أو التجريدي؛ للرسم بالأصباغ السائلة، أو الألوان الجافة، أو بالحفر، أو النقش باستخدام الحز، أو الطرق والنقر، والخربشة بآلات صلبة أو حادة على سطح أي وسيط صخري ملائم. وعلى ذلك فالفن الصخري باختصار يمثل عملية إضافة متعمدة على سطح صخري، أو إزالة متعمدة لطبقة منه من قبل الإنسان؛ لإنجاز شكل أو صورة أو هيئة ما.

وتعود أهمية الفن الصخري مقارنة بأي نتاج صناعي آخر تركه الإنسان وراءه ضمن هذه البقايا أو المخلفات أو الثقافة المادية، إلى أنه يعكس في كثير من الأحوال – وبامتياز – تفاصيل دقيقة ومهمة للغاية، لا يمكن أن توضحها، أو تعكسها، أو تنبئ بها تلك الآثار أو البقايا المادية الأخرى. فقد تصور هذه الأشكال الفنية – من الرسوم والنقوش التي تؤلف الفن الصخري – الملامح الفيزيقية، وجوانب من مناشط الحياة الاجتماعية والثقافية المختلفة. وهو الأمر الذي غالبًا ما يحقق الأفضلية للفن الصخري كمصدر بالغ الأهمية لدى الأركيولوجيين؛ وهم بصدد كتابة جانب مجهول أو فصول غامضة من تاريخ الإنسان أو الجنس البشري، في تلك الفترة الزمنية الطويلة التي سبقت ظهور الكتابة والنفوذ إلى المرحلة التاريخية. فالهياكل العظمية البشرية – إن وجدت – والبقايا أو المخلفات المادية الأخرى، فهي على العكس من الفن الصخري؛ لا تعكس السمات والملامح الفيزيقية الخارجية، وتفاصيل الشعر، وأغطية الرأس، وطريقة التزين، أو تجميل الجسد بالوشم والزخارف، أو أساليب صيد الحيوانات البرية، وتربية الحيوانات المستأنسة في الحظائر، أو القتال والمعارك وشئون الحرب وتشكيلاتها، وغيرها من المناشط الكثيرة الأخرى.

وهذه الإطلالة الموجزة على الفن الصخري الموريتاني تأخذنا في رحلة سريعة إلى بطون التاريخ القديم وأعماقه في صحراء شمال غرب إفريقيا الكبرى، قبل أن تعرف هذه المنطقة الكتابة، أو أن يكون لديها أي وثائق تاريخية مكتوبة أو سجلات مدونة؛ لتعرف الفن الصخري الموريتاني، وتوجيه مزيد من الاهتمام به؛ إضافة إلى توضيح الأهمية الخاصة التي يحتلها هذا المصدر المهم من المادة الأركيولوجية أو النتاج الصناعي في إعادة تركيب أو بناء ماضٍ، أصبح أو كاد يكون منسيًّا في الذاكرة البشرية والإنسانية.

الفن الموريتاني الصخري: التوزيع والانتشار والخصائص

موريتانيا واحدة من الدول الواقعة في أقصى شمال غرب قارة إفريقيا، وتمتد على مسافة تزيد على ١٠٠٠ كيلو متر من الساحل الأطلسي إلى الصحراء. إن مجموعات الفن الصخري الموريتانية تنتشر هناك على نطاق واسع، ويبدو أنها قد أنتجت في الأغلب خلال ٤٠٠٠ سنة قبل الآن؛ وهي الفترة التي تواكب

بالمصطلحات الأركيولوجية العصر النيوليثي Neolithic Period، أي العصر الحجري الحديث New Stone Age.

وتتكون الصور في الفن الموريتاني الصخري من العديد من النقوش، والرسوم، واللوحات، والمنحوتات المنجزة بأساليب مختلفة وباستخدام مزيج من التقنيات. وقد تم رصد وتوثيق العديد من هذه الأساليب والتقنيات المستخدمة في إنجاز هذا التقليد الفني الصخري؛ إذ أسهم في هذا الصدد كثير من العلماء والباحثين. ونذكر منهم على سبيل المثال هنا: ثيودور مونود Théodore Monod (١٩٥١م)، وم. سينوانز M. Senones ، و. بيجادو O. Puigadeau (١٩٣٩م)، وريموند موني Raymond Mauny (١٩٥٤م)، وج. فافوتي J. Favotti (١٩٦٠م)، وإريك هويسكوم Eric Huysecom (١٩٨٧م)، وألفريد موزوليني Alfred Muzzolini (١٩٩٠م)، وأوجستين هول Awgustin Holl (٢٠٠٢م)، وحمدي عباس عبد المنعم.Hamdi Abbas Abdelmoneim (٢٠٠٥م)، وأليك كامبل Alec Campbell، ووديفيد كولسون David Coulson، وسام شاليس Sam Challis، وجيرمي كينان Jeremy Keenan (٢٠٠٦م)، وغيرهم كثير ممن اهتموا بدراسة وتحليل هذا الفن.

وتتركز هذه الصور الصخرية في موريتانيا في غرب بير موغرين Bir Mogrein (وهو الامتداد الموريتاني لزيمور Zemmur الواقعة في الصحراء الغربية، والتي كانت تعرف في السابق باسم الصحراء الإسبانية)، وفي مناطق آدرار Adrar، وتاجانت Tagant، وتشيت–والاتا Tichitt–Walata، لكنها تغيب في أقصى المناطق الجنوبية؛ وهو الأمر الذي قد يفسره البعض بعدم وجود الوسيط الصخري الملائم لإنجاز مثل هذه الفنون.

وقد عثر في الأغلب على نقوش الحيوانات البرية الكبيرة (الفيلة ووحيد القرن والزرافي) في زيمور وآدرار. ويصور الفن الموريتاني الصخري صورًا متكررة للحيوانات البرية والماشية وصيد النعام أو الظباء؛ مع وجود بعض الاستثناءات، مثل صيد الأفيال والغزلان ومشاهد الأنشطة الجماعية (كالرقص، والقتال)؛ غير أن صور الماشية هي أكثر الموضوعات تصويرًا.

هذا، وتعود أقدم صور الفن الصخري في موريتانيا إلى العصر النيوليثي (العصر الحجري الحديث) Neolithic (وربما في وقت يعود إلى ما قبل ٤٠٠٠ سنة قبل الآن). وتنتمي هذه الصور إلى المجتمعات الرعوية؛ كونها أكثر طبيعية؛ أي منجزة باستخدام الأسلوب الطبيعي أولًا، ثم أنجزت بعد ذلك بطريقة أكثر نمطية

ديسموند كلارك أحد أهم أركيولوجيي النصف الثاني من القرن الماضي، يعاين النقوش الصخرية في الصحراء الموريتانية الكبرى، ديسمبر ١٩٦٧م.

نقوش صخرية بالصحراء الموريتانية الكبرى منجزة باستخدام الخطوط المجردة، مع نصوص من المرحلة الليبية–البربرية، ديسمبر ١٩٦٧م.

Stereotype، حتى ظهور الأساليب والتراكيب الفنية الخاصة بالفترة الليبية–البربرية Lybico–Berber، والتي تعود في تاريخها إلى الألفيتين الثالثة والثانية قبل الآن.

وتقتصر الصور النيوليتية أو الرعوية على الشمال (زيمور)، مع بعض الاستثناءات الموجودة في آدرار الوسطى. فالفن الصخري الموريتاني في معظمه – كما يرى كثيرون – يعود إلى فترة لاحقة أو أحدث، وهي الفترة المعروفة اصطلاحًا بالفترة الليبية–البربرية Lybico–Berber، والتي تتميز صورها برسوم الخيول والعربات.

في منطقة آدرار يوجد على الأقل نحو ٣٠ موقعًا من مواقع الفن الصخري، لعل أبرزها وأهمها تلك المكتشفة في تاوجافيت Taoujafet، وتنسيس Tensès، وأمكجار Amogjar. ومن الجدير بالذكر أن منطقة آدرار هذه تضم في مواقعها أكثر الصور الصخرية الفنية المنجزة باستخدام الأسلوب الطبيعي. ففي تنسيس Tensès توجد مشاهد مصورة للبشر والحيوانات البرية والماشية، في حين تسود صور الماشية وتغلب في أمكجار Amogjar، التي تم فيها اكتشاف ثماني مجموعات مختلفة من اللوحات، ينتمي أقدمها إلى مجتمعات العصر الحجري الحديث الرعوية. أما صور الخيول، فتشير إلى أن بعض الرسوم الملونة قد تكون حديثة. ومع ذلك، فلا أثر للنقوش الليبية–البربرية، أو لصور الجمال (التي تنتمي إلى آخر تقاليد الفن الصخري الموريتاني). أما عن الموضوعات الرئيسية المصورة، فتشمل الحيوانات البرية، وقطعان الماشية، والمشاهد الجماعية البشرية (كالرقصات، والفرسان أو الخيالة). وعلى ما يبدو أن هذه اللوحات الفنية في هذه المنطقة تكون غير ذات صلة باللوحات الأخرى الموجودة في زيمور Zemmur، أو في تاجانت Tagant؛ ولا علاقة لها بها بشكل عام. هذا، ويعتقد أن التسلسل الزمني لهذه الصور المكتشفة في آدرار يتراوح بين ٤٠٠٠ و٢٥٠٠ سنة قبل الآن؛ لأنه لم يتم رصد صور لعربات أو أسلحة معدنية.

أما فيما يتعلق بأهم وأشهر مواقع الفن الصخري التي تضم نقوشًا محفورة في منطقة آدرار، فيمكن الإشارة إلى موقعي البيض El Beyyed، والرحلوية El Rhallouiya. وللموقع الأخير أهمية خاصة نظرًا لتراكب نقوشه Superimpositions، التي تنتمي إلى ثلاث فترات مختلفة. فبين النقوش القديمة (والتي تؤرخ بفترة تتراوح بين ٤٠٠٠ و٢٥٠٠ سنة قبل الآن) لا تزال هناك صور للحيوانات البرية، التي يتراكب فوقها نقوش أكثر حداثة تصور الماشية والعربات (والتي تؤرخ بفترة تتراوح بين ٢٥٠٠ و٢٠٠٠ سنة قبل الآن). وأخيرًا، نجد نقوشًا أكثر من حيث العدد، وأكثر حداثة؛ نظرًا لكونها تحمل درجة تلون أخف من

العالم والأركيولوجي الفرنسي الشهير ورائد دراسات الفن الصخري الموريتاني ثيودور مونود (وسط الصورة)، يتحدث مع علماء الآثار في الصحراء الموريتانية الكبرى، ديسمبر ١٩٦٧م.

سابقتها. وهي نقوش تصور الماشية، وترتبط بالنصوص الليبية-البربرية Lybico-Berber texts. وهذه النقوش الأخيرة مؤرخة بفترة تعود إلى نحو ٢٠٠٠ سنة قبل الآن.

إن معظم النقوش في آدرار منجزة باستخدام تقنية النقر أو الطرق Pecking technique، وتبدو فيها صور الماشية وهي مزينة بحلي (كحبال أو شرائط أو معلقات)، تتدلى منها (وهذه المظاهر الفنية تبدو غريبة جدًّا، وغير اعتيادية في التقاليد الفنية الصخرية بالصحراء الغربية)؛ كما تبدو صور الماشية وهي محملة ببضائع، وتجر العربات.

أما عن الفن الصخري في تاجانت Tagant، فهو أحدث من حيث الفترة الزمنية التي أنجز فيها، وليس شيء أدل على ذلك أفضل من تلك الرسوم الملونة للخيول المكتشفة في موقع تينشمارت Tinchmart. غير أن هذا لم يمنع في الواقع من استمرار تصوير الماشية، فهي ممثلة أيضًا في هذا الموقع.

ومن الجدير بالذكر أنه تم اكتشاف وتسجيل وتوثيق مزيد من الملاجئ والمآوي الصخرية بين منطقتي تاجانت Tagant وتيتشيت Tichitt؛ تحتوي رسومًا ملونة، وبالتحديد في جايليمزي Guilemsi؛ وهي الرسوم التي يبدو أن تاريخها يعود إلى فترة تمتد بين ٤٠٠٠ و٣٠٠٠ سنة قبل الآن. وهي تصور الحيوانات البرية، والماشية المستأنسة، والعربات التي تجرها الماشية، والأشكال البشرية، وطبعات لكفوف الأيدي، فضلًا عن صور وأشكال غير تصويرية. وبجانب هذا أيضًا هناك مشاهد لخيول يمتطيها رجال بدروع ورماح. وأخيرًا توجد كذلك بعض النصوص الليبية-البربرية الحديثة بجانب تلك الرسوم.

أما عن الفن الصخري في منطقة تشيت-والاتا Tichitt-Walatta وهو الأحدث تاريخيًّا، فإن معظمه أو الجانب الأكبر منه يتشكل من النقوش، أي أنه منجز بتقنية الحفر على الرغم من وجود بعض الرسوم الملونة. وصحيح أن صور الحيوانات البرية تغيب هنا غيابًا واضحًا، إلا أنه تم تسجيل وتوثيق عدد قليل من الأشكال الفنية للزرافى. هذا، ويمكن تقسيم أو تصنيف الفن الصخري في هذه المنطقة من حيث الموضوع إلى قسمين رئيسيين: نقوش الأبقار وما تلاها من نقوش ليبية-بربرية تمثل فرسان الخيل والجمال (الخيالة والهجانة) وصيد النعام والغزلان. أما صور الماشية الأكثر قدمًا، فهي ممثلة هنا وهي تجر العربات، وذلك على النقيض من صور الماشية الموجودة في آدرار، التي لا تحمل بضائع.

وعلى الرغم من هذه الوضعية المصور بها تلك الماشية هنا، فإن صورها تختلف إلى حد ما عن بقية تلك الموجودة في الفن الصخري المكتشف في المناطق الأخرى من موريتانيا. فالأعضاء

التناسلية أو الحوافر في هذه الماشية تشير إلى إمكانية أو احتمالية ارتباط هذه الصور الصخرية للماشية بالمجموعات الفنية الأخرى المنتشرة جهة الشرق.

أما في أقصى الجنوب، وبالتحديد في وادي جريد Jrid Wadi بإقليم العيون Ayoun، فقد تم الكشف عن خمسة ملاجئ صخرية تضم رسومًا ملونة لمشاهد لخيول ممتطاة وغير ممتطاة. وهي الصور الأبرز أو الغالبة في هذه الرسوم، إلا أن هناك صورًا وأشكالًا غير تصويرية أيضًا.

حول الفن الصخري الموريتاني وأهميته

يجب أن تحتل موريتانيا موقعًا لا يقبل التقليل أبدًا من شأنه ومن قيمته على خريطة مواقع الفن الصخري الهامة، سواء على المستوى الإقليمي أو الدولي. ومرد هذا الرأي يعود في الواقع إلى نظرة البعض إلى الفن الصخري الموريتاني على أنه فن فقير نسبيًّا من حيث الأسلوب، والتقنية، والناحية الجمالية، وكذا العمر الزمني؛ مقارنة بالفن الصخري سواء في مناطق الصحراء الكبرى المجاورة، أو تلك المناطق الأخرى البعيدة والنائية؛ كتقاليد الفن الصخري في الشمال والشمال الشرقي، مثل تازينا في المغرب؛ وتاسيلي الأحجار في الجزائر؛ وجبارين، وتدرارت أكاكوس في ليبيا؛ وشرقًا في غير موقع في مالي، والنيجر، والقرن الإفريقي؛ وجنوبًا حيث فنون البوشمن والسان؛ كذلك الفن الباليوليتي بأوروبا حيث كهوف لاسكو والدردون في فرنسا، والتاميرا في إسبانيا، والمنطقة الفرانكو-كنتابرية؛ وفن الصخور لدى سكان أستراليا الأصليين، والعائد إلى ما قبل التاريخ.

فالمسألة هنا تتعلق بما يمكّننا من مواصلة كتابة التاريخ البشري المحلي والإقليمي والعالمي على عدة مستويات واستكمال فصوله، ولا سيما تلك الموغلة في القدم. فهذا المصدر من المادة الأركيولوجية (مع المصادر الأخرى وبجانبها) - بغض النظر تمامًا عن نوع الأسلوب ودرجة التقنية المستخدمين ومدى العمر الزمني - يسهم في استكمال كتابة فصول هامة من التاريخ البشري على المستويات كافة. فالفن الصخري في عمومه ومهما بلغت درجته ومستواه، يقدم معلومات وفيرة وغزيرة، وفي أحيان أخرى دقيقة وفريدة، بشأن التاريخ الطبيعي، والمناخي، والبيئي، والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، لجماعات وشعوب وحضارات مرحلة ما قبل الكتابة.

فصور الحيوانات المصورة سواء البرية منها أو المستأنسة، وأيًّا كانت التواريخ التي تؤرخ بها (العصر النيوليثي أو ما قبله أو بعده)، تسهم في كتابة التاريخ الطبيعي (الأنواع الحيوانية التي رامت المنطقة)، والتاريخ المناخي والبيئي وتطوراته (من مناخ يسمح بالحياة للحيوانات البرية الضخمة، إلى آخر تنتشر بفعله المراعي، إلى ثالث لا يقوى على العيش فيه سوى الجياد فالجمال).

استخدم الفنانون أساليب عدة لإنجاز الأشكال الفنية على سطح الكتل الصخرية المنتشرة في الأماكن المفتوحة بالصحراء الموريتانية، خلال العصر الحجري الحديث. والنقش هنا منجز باستخدام تقنية النقر أو الطرق على الوسيط الصخري.

ولا تتوقف أهمية الفن الصخري عند كتابة تواريخ كهذه فحسب، بل تتعاظم هذه الأهمية لتشمل تتبع التاريخ الثقافي كذلك. فقد بينت البحوث والدراسات التحليلية المقارنة للنقوش والرسوم الصخرية في موريتانيا تأثيرًا واضحًا ونفوذًا واسعًا لثقافة الشمال البربري القديم في موريتانيا – على سبيل المثال.

إن رسوم الجمال وحدها كفيلة بأن تمدنا بمعلومات، وتفتح نقاشات تتطرق لجوانب من التاريخ (الطبيعي، والمناخي، والبيئي، والسلالي، والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي) الخاص بهذه المنطقة في تلك المرحلة الجملية Cameline. فقد ذكر المؤرخ الموريتاني – حماه الله – ولد السالم في إشارة إلى رسوم الجمل، يقول: «رغم وجود الجمل في النقوش الصخرية في فترة مبكرة، فإن دخوله ما زال محل جدل حتى الآن. فرسوم المرحلة الجملية تنتشر في كل مناطق الصحراء الكبرى – بما فيها موريتانيا – وهي رسوم صعبة التأريخ للأسف؛ ولعلها رسوم للجمالة من الجرمنتيين الذين استطاعوا بواسطة الجمل أن يخترقوا الصحراء؛ ما عزز علاقاتهم بالرومان». ويضيف بشأن رسوم الجياد والعربات قائلًا: «بعد منتصف الألف الثاني قبل الآن، جابت الصحراء الكبرى عربات ذات عجلتين أو أربع أحيانًا، تجرها الخيول غالبًا والثيران نادرًا. ولا يعرف – رغم جهود الباحثين – غير تمثيلها على الصخور في ٨٠٠ موقع تقريبًا في عموم الصحراء. ومع ذلك، فإن أصل هذه العربات واضح، فالعربة ذات العجلتين المربوطة بحصانين أو أربعة، هي آلة حربية تقليدية معروفة حول شرقي البحر المتوسط منذ منتصف الألف الرابع قبل الآن. وقد استخدمها شعوب هذه الأقاليم والرومان بشكل مكثف، وكذلك الليبيون، والجرمنت، والجتول، حين تمرسوا على الخيول منذ نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، ويشير إليها كل من هيرودوت، وديودور، وإسترابون».

موريتانيا إذن غنية بالفن الصخري الذي يوفر معرفة أفضل بشأن ما قبل تاريخ المنطقة محليًا وإقليميًا. فالصور والموضوعات

هنري لوت أمام أحد مواقع الفن الصخري في الصحراء الموريتانية الكبرى، والذي يضم نقوشًا حيوانية وبشرية، وأشكالاً غير تصويرية، ديسمبر ١٩٦٧م.

التي يتضمنها هذا التقليد الفني الصخري بجانب أنها تسهم في كتابة تاريخ الفن من خلال توثيق ودراسة وتحليل الأساليب والتقنيات المختلفة المستخدمة، تسمح كذلك بإنشاء الروابط السلالية أو العرقية والتجارية والثقافية والاجتماعية بين موريتانيا، ومناطق أخرى مجاورة في الصحراء الكبرى، وخاصة جنوب المغرب وغرب مالي.

وفي النهاية، لا يبقى سوى القول إن التراث الأركيولوجي (الآثاري)، الذي يتمثل في البقايا والمخلفات القديمة هو تراث يقاس به تطور الشعوب والحضارات والثقافات الإنسانية؛ ومدى تقدمها ورقيها من جهة، كما أنه يشكل مصدرًا أساسيًّا ورئيسيًّا في إعادة تركيب أو بناء ماضي هذه الشعوب والثقافات والحضارات وأساليب حياتها القديمة. كذلك تبرز أهمية هذا التراث الأركيولوجي بوجه خاص؛ لكونه يمثل المصدر الرئيسي الذي يستقي منه المتخصصون معلوماتهم عن تلك المجتمعات والحضارات والثقافات التي ظهرت ونمت وازدهرت واندثرت قبل بداية العصر التاريخي (أي قبل ظهور الكتابة، ووجود التسجيلات المكتوبة أو الوثائق المدونة). ولقد كان وما زال وسيظل الفن الصخري – سواء في موريتانيا أو في أي بقعة من بقاع الأرض – أحد أهم المصادر الأركيولوجية قبل التاريخية. فبجانب أنه يعكس تفاصيل دقيقة لا يعكسها النتاج الصناعي، أو المخلفات والبقايا المادية الأخرى على اختلافها، يرى البعض في الفن الصخري نسقًا للاتصال بين أعضاء الجماعات والمجتمعات والحضارات والثقافات قبل التاريخية. بل يذهب آخرون من المتخصصين أبعد من ذلك، حين ينظرون إلى الفن الصخري على أنه لغة مرئية وبديل من الكتابة التي ظهرت لاحقًا متطورة من هذا التقليد الفني الصخري. لذا، وأيًّا كان الأمر بشأن الاتفاق أو الاختلاف حول النظرة لهذا المصدر من المادة الأركيولوجية – يأتي هذا المقال في خاتمته بتجديد الدعوة إلى الحفاظ على هذا الموروث الثقافي الحضاري الإنساني، وتثمينه؛ من خلال توفير الحماية والأمن اللازمين لهذه المواقع الفنية الصخرية، والرقابة المستمرة عليها من قبل السلطات ومن قبل الأركيولوجيين العاملين كحراس ودارسين لها؛ مع توفير المتطلبات والإمكانيات، وتقديم التسهيلات اللازمة؛ لوقاية هذه المواقع وصيانتها بطريقة دورية. ولا تكتمل هذه الدعوة دون التأكد من وجود القوانين اللازمة والملزمة، وكذا الإجراءات الفاعلة والمفعلة لحماية هذه المواقع، سواء من العوامل الطبيعية أو العوامل البشرية التي

حمدي عباس لحظة اكتشافه أحد مواقع النقوش الصخرية في أهل ابدمد بمرتفعات الأدرار شمال وسط الصحراء الموريتانية الكبرى، مارس ٢٠٠١م، (من مجموعة د. حمدي عباس الخاصة).

حمدي عباس في أثناء حملته الأركيولوجية لتسجيل النقوش الصخرية في فم شور بمرتفعات الأدرار شمال وسط الصحراء الموريتانية الكبرى، مارس ٢٠٠١م، (من مجموعة د. حمدي عباس الخاصة).

رسم ملون من موقع جايليمزي Guilemsi بموريتانيا لحصان، استخدم فيه الفنان الأشكال الهندسية (مثلثين متقابلين)، يمتطيه أحد الخيالة، وقد أمسك لجام فرسه بيد، في حين حمل – على ما يبدو – سلاحًا كالبلطة بيده الأخرى.

رسوم ملونة لخيول ممتطاة، وأشكال بشرية مترجلة من وادي جريد Oued Jrid، الحوض الغربيHodh El Ghrbi، موريتانيا.

تؤدي إلى تدميرها أو تخريبها أو نهبها؛ وتطبيق أقصى العقوبات الرادعة على متعمدي التخريب والتدمير والنهب، وعلى عصابات الاتجار في الآثار وتهريبها. وبجانب ذلك، يبقى أيضًا هذا الدور الذي يجب أن تؤديه أو تفعله الجمعيات والروابط الآثارية المتخصصة. وهو الدور المتمثل في العمل باستمرار على تطوير واستحداث الخطط، التي تهدف إلى حماية هذه التقاليد الفنية الصخرية، والتي عادة ما توجد في الصحاري والمناطق النائية، وأن تقوم هذه الجمعيات – بجانب السلطات الحكومية بوزاراتها المختلفة ذات الصلة أو الاختصاص كوزارات التعليم والثقافة والإعلام والسياحة والاقتصاد على سبيل المثال – بتوعية أفراد وجموع الشعب بأهمية الفن الصخري وقيمته التي لا تقدر باعتباره ميراثًا للشعب وتراثًا للإنسانية. هنا، وبجانب البرامج المعدة لذلك؛ تكون مسألة تنظيم الرحلات السياحية والعلمية لهذه المواقع أمرًا حيويًّا ومفيدًا للغاية لتحقيق هذا الغرض أو الهدف. كذلك يجب أن يستمر نشاط البحث الأركيولوجي، بل يكثف في هذا المجال بتخصيص التمويل المادي اللازم للباحثين والمهتمين. وهو الأمر الذي يشجعهم ويحفزهم إلى مواصلة القيام بالمزيد من الاكتشافات والبحوث والدراسات والمشروعات حول الفن الصخري، ونشر التقارير والنتائج في الدوريات العلمية الأركيولوجية المتخصصة على المستويات المحلية والإقليمية والدولية، وتفعيل التواصل بين أعضاء الوسط الأكاديمي العالمي من الأركيولوجيين؛ لتبادل الخبرات في هذا المجال.

اختلاف الأساليب والتقنيات لإنجاز النقوش الصخرية الموريتانية، وتراكبها، وتباين درجة تلونها، قد يعني أنها تعود إلى فترات زمنية مختلفة، وإلى جماعات متعاقبة عاشت بالمنطقة، عام ١٩٦٧م.

وقف

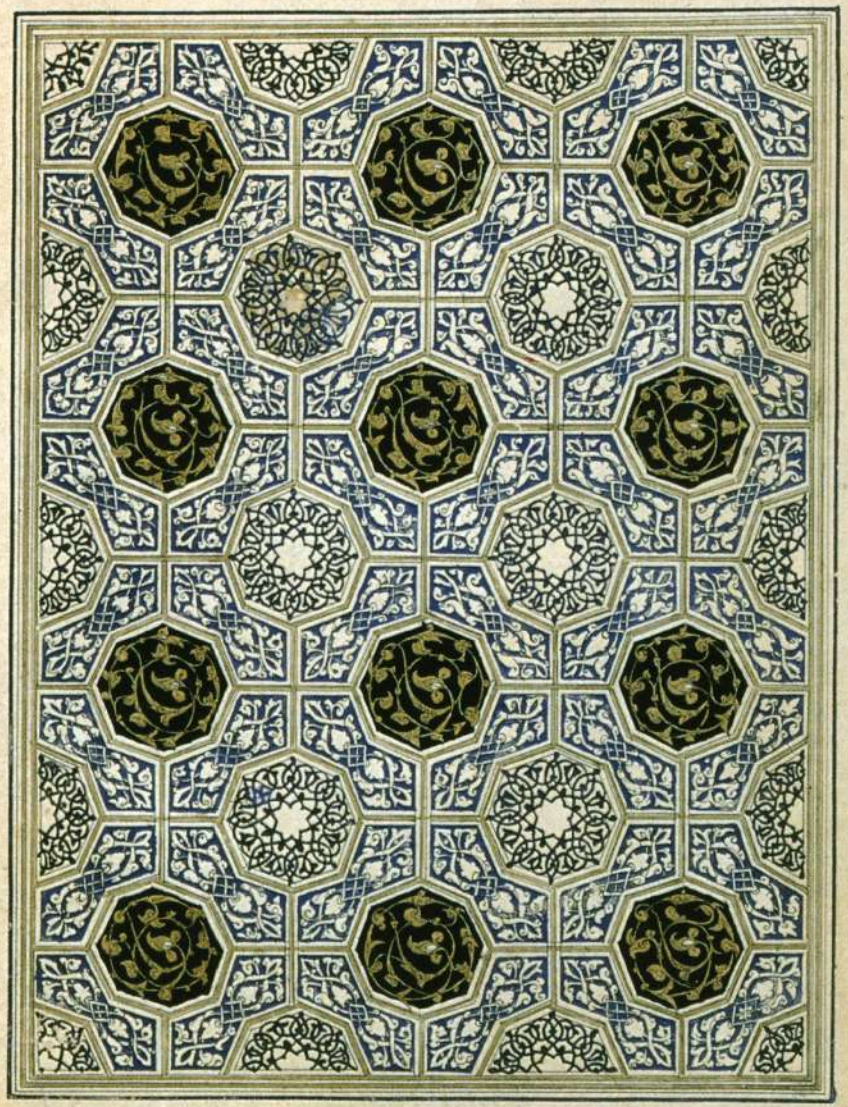

بسم الله الرحمن الرحيم وقف وحبس وسبل وانا العبد الفقير الى الله تعالى
حصن المسلمين ملجأ القاصدين ابو سعد سيف الدين ركن بن عبد الله الشافعي الملكي الناصري نفعه الله تعالى العظيم
جميع هذه الربعة الشريفة وعدتها ثلثون جزءا على كافة المسلمين ينتفعون بذلك في القراءة والنقل
والمطالعة والدراسة وشرط الواقف للذكور ان هذه الربعة المذكورة لا تخرج من الذرية المذكورة ولا تعار ولا تخرج الا
للاصلاح وجعل النظر في ذلك لنفسه طول حياته ثم من بعده لذريته الارشد فالارشد وذريه ذريته فاذا انقرض
الذريه ولم يبق منهم احد يكون النظر للشيخ المقيم بالتربة المذكورة يجري الحال في ذلك كذلك ابدا ان ارث الله الارض
ومن عليها وهو خير الوارثين فمن بدل حرام حرام على من غيره او بدله من بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه
ان الله سميع عليم وقع اجر هذا الواقف على الله عز وجل الذي لا يضيع اجر من احسن عملا وذلك سابع اسابيع
من شهر جمادى الاخر سنة ست وعشرين وسبعمائة